الفتاة

الجزء الرابع من السنة الأولى

فى ١ آذار «مارس» سنة ١٨٩٣

موافق ١٢ شعبان سنة ١٣١٠

الحياء

إن الحياء هو من أجل الصفات المعتبرة فى النساء اللاتى جبلهن المبدع من طين الوداعة والظرف، وأفرغهن من قالب الجمال واللطف، وأودع فى قلوبهن معدن الحنو والشفقة ورسم على وجوههن آيات الأنس والبشاشة، وأنزل فى مقل عيونهن سحراً ينفث سحر هاروت، وأوجد من نطقهن درًا يذرى الدرر والياقوت، وألبسهن حبراً سماوية وجعلهن مصباحًا ساطعًا فى الهيئة الاجتماعية، وغرز فى عواطفهن حب التقنع بقناع الحياء ليحفظن به أنفسهن من آفات التطرف والتورط اللذين يحطان بقدرهن فى أعين القوم، إذ كل فتاة فقدت مزية هذه الصفة الشريفة كانت عرضةً لمخالب الفساد وسببًا لحرمانها من الحقوق التى يتمعن بها المحصنات الأديبات ويفتخرن بشهرتها المصونات العفيفات.

هذا ولما كان الحياء طبعًا للإنسان الأكثر رقةً ولطفا ولينًا وآدابًا، وكانت النساء أرق من جميع المخلوقات عواطفًا وألين عريكةً وجانبًا اكتسبت طباعهن جوهرة الحياء اكتسابًا غريزيًا، وسواء كانت المرأة حكيمة أو جاهلة لابد لها من التمسك بعروة الحياء الوثقى نعم إننا نرى صفة الحياء بين هذه وتلك واحدة فى الظاهر، ولكن لو أمعنا النظر وراقبنا الحركة لوجدنا عواطف الأولى ملآى بجواهر الحياء سرًا وجهرًا وحاسات الثانية مشحونة بذرات التقليد غير المنطبق على الحقيقة إلاَّ فى الظاهر، وما أقبح ممن تدعى بما ليس فيها وتتردى أحيانًا برداء الصيانة والحياء إيهامًا وغرورًا وخوفًا حيث

تعلم أن كل امرأة تتشح وشاح الحياء لا يجسر أحد على مسيسها إلاَّ ويحاكم بموجب القانون فى كل زمان ومكان.

وكان قدماءُ اليونان والرومان يجعلون للحياء تمثالاً معبوداً، وقد شيد لهُ اليونانيون فى أسبرطه وأثينا الهياكل العظيمة كما جعل لهُ الرومانيون هيكلين أحدهما للنساء الشريفات والثانى للنساء العامة، وكانوا يشخصون هذا المعبود بصورة امرأة ذات وشاح يستر هيكلها من الرأس حتى القدم، وهى جالسة على قاعدة الحشمة والوقار وإلى جانبها غصن من الزنبق وسلحفات رمزًا وإشارة إلى أن المرأة المحتشمة يجب أن تكون طاهرة نقية كالزنبق الأبيض ومحتجبة فى خدرها كالسلحفاة فى وقارها.

وكان لم يزل أهالى الشرق من أعظم الأمم محافظةً على ناموس الشرف والعرض، ولذلك ما برحوا مواظبين على تأييد الحياء بين النساء اعتقاداً منهم بأن لا حجاب لهن من أعين الطامحين بجمالهن إلاَّ الحياء والتحجب، وبناء عليه قد شادوا لهن القصور وأسبلوا على الخدور الستور وأقاموا الحجاب على الأبواب رافعين لواء الاحتشام والاحترام، فإن المحب غيور والغيرة هى من دعائم الشرف وأعمدة الشهامة وأعظم شيئًا فى الإنسان العظيم هو عزة النفس وعزيز النفس مهما طأطأ للدهر هامه لا يمكن أن يمس العرف والناموس خلافًا لسافل الهمة خسيس الطبع دنئ الخلق ساقط الشرف، فإنه لا يهتم بأمر مثل هذا وسيان عنده الشرف وعدمه والدفاع عن العرض وعكسه حالة كونه يعلم يقينا بأن الرجل الكريم من يدافع عن عرضه بماله ويفتديه بنفسه، وأن من انتحر فى سبيل الدفاع عن محصنته لو كريمته لا لوم عليه ولا حرج.

ولا يخال للقراء أننا نشير بقولنا هذا إلى بعض الأمم الذين أباحوا لنسائهم الظهور فأسفرن البراقع عن الوجوه وبرزن من الخدور وهن كالبدور؛ ليتمتعن بالحرية

الأدبية فى الهيئات العمومية والنوادى العلمية والمراسح التمثيلية، كلا فإننا نعد مثل هؤلاء الأمم ممن يعتبرون الحياء وجوبيا للنساء كما يعتبره الشرقيون تمامًا غير أن كيفية تأييده مختلف عليها بين الفريقين، فالأول متمسك بها وراثيًا حتى صار الحياء عنده موئداً بأحكام التقليد والإرهاب، والثانى جعله مرعيًا بأحكام العلوم والمعارف حيث سعى بوجوب احترام المرأة وإعطائها المنزلة الرفيعة فى هيئة الاجتماع حتى أنالها هذا الحق وجعلها بمقام تعلم منه ما عليها من الواجب نحو نفسها ورجلها وبيتها وأولادها وخدمتها وآلها ووطنها، وأن يكون لها ما للرجال من حقوق إحراز العلوم والفنون والمعارف لتقوى على معرفة المبادي الصحيحة الخالية من إدران الفساد، وتعلم من ذلك أن الحياء وجوبيًا للكمال والعفاف وبدونه تسقط عن عرش كمالها واحترامها.

ومن البديهى أيتها السيدات أن المرأة إذا وجدت ذاتها محترمة معززة الجانب من زوجها وأولادها، ومن يلوذ بها من الخدم والحشم تفرغ معظم جهدها سعيًا وراء صيانة نفسها من جراثيم العيوب، وأن من أدركت بثاقب فكرها وصائب عقلها لذة هذه الشهرة الأدبية لا ترضى لنفسها السقوط من شامخ المجد إلى دركات الانحطاط وحرمانها نعمة الإكرام والاحترام وفقدها تلك السلطة الإدارية والحقوق الأدبية، ولذلك لا تقوى على مداركها قوة الطياشة والجهل ولا يذل بها القدم يوماً إلى ما يعقبه الندم لا سيما إذا كانت المرأة ممسكة بمواجب الدين، فإنه لشاكم من جماح كل أمر يتولد منه الفساد وكفاها بمطالعة الكتب الدينية نذيراً ومرشداً إلى معرفة واجباتها نحو قرينها ومعرفته رأسًا لها، وبهذه المعرفة الحصن الحصين لطهرها وعفافها ودوام استحيائها وكما نرى بين الرجال حكيمًا وجاهلاً وصالحًا وشريراً، هكذا نشاهد بين النساء على اختلافهن بالجنس والمذهب فاضلات وفاجرات، ولذلك لا نقدر أن نحكم على كل فريق منهما إلاَّ بما يوافق أحوال الأمم من تباين الطباع والأميال، ولكل امريء من دهره ما تعود.

وقد يخطئ من يزن الصالح بميزان الطالح، ويحل المعوج محل المستقيم ويدين الكل بخطيئة البعض، فإن العدل لا يأمرنا بأن نجعل النساء الساقطات عن درجات الاعتدال والكمال كالنساء العالمات المهذبات سواءً كن شرقيات أو غربيات، وبالجملة فإن المرأة من زوجها فإن أفسدها كانت شيطانًا رجيمًا، وإن أصلحها كانت ملاكًا كريمًا.

وحسبنا شاهداً ما نراه من التقليدات الإنكليزية، فإن الرجل منهم لا يقدر أن يأتى أقل عملاً يؤول بتكدير حاسات النساء فى الهيئات الاجتماعية، ولا يحق له أن يدخن فى قاعات يجتمعن فيها النساء المخدرات، ولا أن يتلفظ بأقل كلمة ذات معانٍ كثيرة أو يشير بأخف إشارة تمس شرف الطهر والعفاف بل يجلس بينهن باحترامٍ وآدابٍ إجلالاً لهن وبرهانًا على ما لهن من التقنع بالحياء وإن كن سافرات الوجوه وهكذا من مواجب المرأة الإنكليزية مع ما هى عليه من السلطة الإدارية والسيادة الأدبية أن لا تخرج من بيتها خطوةً بدون استئذان زوجها، ولا تعمل أقل عمل بدون استشارته عملاً بقول الكتب المقدسة إن الرجل رأس المرأة واعترافًا بأن السلطة المعطاة لهن من الرجال لم تكن إلاَّ على سبيل المجاز فقط تلطفًا وتأدبًا.

وهكذا نرى نساء الأميريكات اللواتى يتسابقن إلى العلوم والمعارف بملء الرغبة والنشاط حتى بارين أفاضل الرجال بمحاسن الأعمال، وقلما تجد منهن واحدة فى هيئة اجتماعية ما لم تباحثك وتناظرك فى المواضيع العلمية والفنية والرياضية خلافًا للشرقيات «ونحن فى مقدمتهن»، فإنهن إذا اجتمعن يومًا فى منزل ما فلم يتعد حديثهن حدود ما ابتكره الخياطات وما أكلنا وشربنا فى يومنا وأمسنا حتى إذا فرغن من هذا وتلك جردن سيوف الانتقام وأسهم الملام على بعضهن بعضًا إلى غير ذلك من مقتضيات القال والقيل، ولوازم التعنيف والتنكيت والتنديد والتبكيت على من سبقنه فى مضمار العلم والآداب، ولم يكفنا ذلك إلاَّ ونستخف بمن نراها تتحدث بالعلم والسياسة وبالتى امتازت عنا بشكر الألباء الأفاضل، وكانت موضوعًا لحديثهم بالإطراء والإطناب

ثم نعنف تلك التى سبقتنا إلى ليس الأزياء الجديدة ونشد النكير على من لا يماثلنا فى العادة والأخلاق، وفى بعض الأحيان نفخر بأن نستهجن تقاليدنا القديمة ونطنب بما أخذناه عن نزلائنا من التقاليد البعيدة عن عاداتنا القديمة مراحلاً ونعجب غالبًا بلغة الأجانب خوفًا من أن يلحقنا عار إذا قلنا لم نتعلم إلاَّ لغة آبائنا وأوطاننا، كل ذلك يرجع بالفضل إلى ما ورثناه من المبادئ التى تجعل بعض الرجال إن يسلقوا بألسنة حداد وينسبوا إلينا عدم الكمالات بالوقت الذى لا نجهل فيه حيثية مركزنا فى عالم الوجود ولا ندرى إلاَّ أن الحياء من الأداب والآداب من الدين، ومن فقد الدين فقد الآداب، ومن فقد الآداب فقد الحياء والعقل، فأرجو من حضرات السيدات الفاضلات أن يقدننى بقطع النظر عن العقائد والعوائد أى الحياء منهما أقوى حصنًا للطهر والعفاف آو الحياء الإرهابى أو الحياء الصادر عن علم وآداب ومعارف لازداد لهن شكرًا وامتنانًا.

«س...»

البرنسس تريز البافارية

هى شقيقة الملك ليو بولد ملك بافاريا التى لم يثنها جاه الملك وعنفوان الشباب وسامى المجد والترف عن اقتباس العلوم والمعارف، حيث انكبت منذ حداثتها على المطالعة والتعلم حتى نبغت وحازت ما تتمناه من الشهرة الأدبية بين علماء الألمان الأفاضل ثم انعكفت بعدئذٍ على التأليف ليكون علمها مقرونًا بالعمل، فألفت كثيرًا من المجلدات فى عوائد الروسية وأخلاق شعوبها وجيوغرافية ممالكها وقوة جنديتها، وغير ذلك مما يتعلق بحكومتها من الدقائق التى تهم ألمانيا عمومًا وحكوماتها المتحدة خصوصًا، ولما عينت مديرة للمكتب الملكى فى سانت آن ألفت كتبًا عديدة فى بلاد